العدد (1707) السنة السابعة - الاثنين (25) كانون الثاني 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

قراءة في مجلة (مسارات)

تهجير قسري لا هجرة جماعية!

عبد الرزاق الصافي

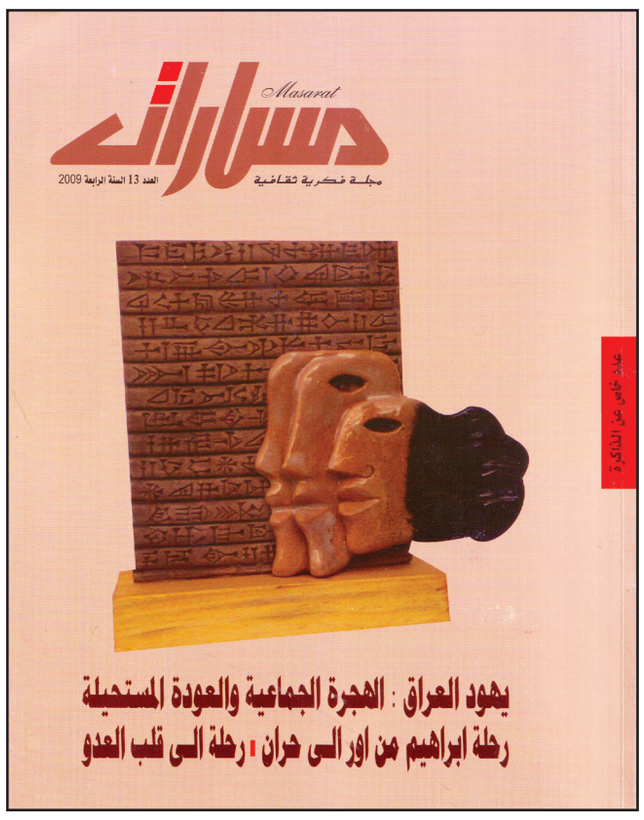

نشرت مجلة (مسارات) التي تصدر عن (مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية)، في عددها الثالث عشر، الصادر في خريف هذا العام (٢٠٠٩) ملفاً غنياً عنوانه على غلاف المجلة الأول «يهود العراق: الهجرة الجماعية والعودة المستحيلة». ونظراً لأن ما حصل لليهود العراقيين في أواسط القرن الماضي لم يكن هجرة جماعية اختيارية، بل تهجير قسري لما يزيد عن مائة وثلاثين ألف مواطن عراقي يهودي، هم بقايا اكبر وأقدم جالية او مجموعة يهودية في العالم عاشت في العراق منذ نحو ألفين وخمسمائة عام، رأيت من المناسب إلقاء مزيد من الضوء على هذه القضية.

لقد تم هذا التهجير القسري، الذي كان جريمة بشعة بحق هذه المجموعة، وبحق الشعب العراقي كله، نتيجة تواطؤ بين الصهيونية العالمية وحكومة إسرائيل، والحكومة البريطانية من جهة، وحكام العهد الملكي من جهة أخرى.

وللتدليل على هذا الأمر سعيت للاستفادة من كراس بعنوان «كفاحنا ضد الصهيونية» الذي يحمل اسمي، وهو بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الذي عقد في أواسط سبعينيات القرن الماضي في بغداد ضد الصهيونية، أعدته لجنة برئاستي ضمت الرفاق فالح عبد الجبار وزهير الجزائري والدكتور صادق البلادي، وقدمتُ خلاصته في المؤتمر. هذه الخلاصة التي نشرت في صفحة كاملة من جريدة «طريق الشعب»، التي كنت رئيس تحريرها يومذاك.

غير إني، للأسف، لم استطع الحصول على نسخة من الكراس المذكور، الذي يحوي معلومات موثقة حول هذا الموضوع، رغم بحثي الجاد عن الكراس طيلة شهر كامل! × ولذا عمدت إلى الاستفادة من مواد الملف المنشور في «مسارات» ومن كتاب الأستاذ صادق حسن السوداني الموسوم «النشاط الصهيوني في العراق: ١٩١٤-١٩٥٢»، والى ذاكرتي عما حواه الكراس الذي لم استطع العثور عليه.

كان تعداد الطائفة اليهودية في العراق في العام ١٩٤٨ نحو ١٣٥ ألف مواطن. وكانت حكومة إسرائيل الصهيونية تأمل ان يبادر اليهود العراقيون إلى الهجرة إلى إسرائيل بعد إعلان قيامها في ١٥/أيار/١٩٤٨ بناء على قرار تقسيم فلسطين الجائر الصادر عن هيئة الأمم المتحدة. غير ان أملها لم يتحقق، اذ لم يهاجر إلى إسرائيل في عام ١٩٤٨ سوى خمسة عشر يهوديا، أي ما يعادل ما لا يزيد عن واحد بالألف بقليل!

ولم يهاجر في العام ١٩٤٩ سوى ١٧٠٨ يهودياً، أي ما يعادل ما لا يزيد عن الواحد بالمئة بقليل. رغم إن الوضع شهد بدء المضايقات والتمييز ضد اليهود بعد قيام إسرائيل.

وعندها تذكر بن غوريون، رئيس حكومة إسرائيل، مقولته قبل قيام إسرائيل بسنوات عديدة، اذ قال ما معناه:»انا لا اخجل ان اعترف بانه لو كان لدي من السلطة بقدر ما عندي من الرغبة لانتقيت عددا من الشباب الموهوب المتطور المستقيم والوفي لقضيتنا والمتوقد رغبة في تغيير اخلاقية اليهود وإرسالهم الى البلدان التي غرق فيها اليهود في رضا عن النفس اثم، ولأمرت هؤلاء الشباب بالتظاهر باللايهودية وملاحقة اليهود بالأساليب اللاسامية السمجة تحت شعارات مثل (ايها اليهود القذرون)، (ايها اليهود ارحلوا الى فلسطين). ويواصل بن غوريون قوله: (واؤكد لكم ان نتائج الهجرة قد تتخطى عشرات الاف المرات النتائج التي يحصل عليها رحالتنا الدعاة الذين يكيلون المواعظ الصم منذ عشر سنوات)».

وعمدت حكومة إسرائيل إلى السعي بعدة طرق لإجبار يهود العراق على الهجرة إلى إسرائيل. هذه الهجرة التي تلكأت طيلة قرابة السنتين من قيام إسرائيل. اذ لم يترك العراق سوى ما يزيد قليلاً عن الواحد بالمائة من اليهود العراقيين. وسعت للضغط على الحكومة العراقية لتسهيل هجرة اليهود. عن طريق التواطؤ مع الحكومة البريطانية، إذ كانت بريطانيا صاحبة وعد بلفور وراعية الهجرة الصهيونية الى فلسطين طيلة ثلاثين عاماً على إصدارها ذلك الوعد المشؤوم في عام ١٩١٧، ودورها النشيط في إصدار قرار تقسيم فلسطين الجائر الذي حرم الشعب الفلسطيني من نصف وطنه.

وكانت حصيلة هذا السعي تشريع قانون إسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين، من قبل وزارة توفيق السويدي في آذار ١٩٥٠، بدعم من نوري السعيد الذي كان يتمتع بالسيطرة على غالبية أعضاء مجلس النواب العراقي، ونفوذه الكبير في مجلس الأعيان وكل مرافق الدولة. هذا القانون الذي شُرِّع بطريق الاستعجال في مجلس النواب والأعيان. وجرى التمهيد له في الصحافة الحكومية، قبل إعلان الحكومة عن نيتها لإصداره.

يقول توفيق السويدي في حديثه مع المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني، المنشور في كتاب الأخير «تاريخ الوزارات العراقية» ما يلي: «انه - أي توفيق السويدي - كان قد فاتح السفارة البريطانية في بغداد بوجوب نقل يهود العراق إلى الهند للتخلص من مشكلتهم، فلم يستحسنوا هذه الطريقة، فكلّف وزير الداخلية صالح جبر ان يتصل بالسفير البريطاني لإيجاد الحل المناسب لهذه المشكلة، فكان إعداد التشريع المذكور (أي قانون إسقاط الجنسية – الصافي) آخر ما تفتقت عنه الأذهان».

يقول السيد صادق حسن السوداني في كتابه (النشاط الصهيوني في العراق: ١٩١٤-١٩٥٢) الذي مرّ ذكره، بصواب، «كان موقف الحكومة (أي وزارة توفيق السويدي) واضحاً، ألا وهو العزم تماماً على إخراج اليهود، متواطئة بذلك مع الحكومة البريطانية. ولن أكون مغالياً ان قلت ان ذلك تم بالتنسيق، كما أرجح، مع حكومة العدو الصهيوني، سواء بصورة مباشرة ام غير مباشرة»

وهذا هو نفس ما يذهب إليه اليهودي العراقي المعادي للصهيونية حسقيل قوجمان في مقالته في (مسارات) عن هذا الموضوع إذ يقول «ان الطبخة كانت ثلاثية قام بها الإنجليز والصهيونية والحكومة العراقية راح ضحيتها أبناء الطائفة اليهودية المسالمة في العراق، وهي التي خدمت العراق تجارياً وعلمياً ووطنياً، ولم تفرط يوماً بالعراق. ولحد اليوم ترى اليهود العراقيين في إسرائيل يبكون العراق وأيامهم في العراق دماً». واضاف قوجمان «ان اغلب اليهود كانوا ضد السفر (الى إسرائيل) ولكن الصهاينة والحكومة (العراقية) استخدموا شتى الوسائل لدفعهم على قبول السفر».

ويتبنى الاستنتاج نفسه القائد الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) في مقاله في مجلة (الطليعة المصرية في العام ١٩٧٠ اذ يدين الحكومة العراقية لتواطئها مع الإنجليز مباشرة، ومع الصهاينة بإصدار هذا القانون.

أما المسعى الآخر لحكومة إسرائيل الصهيونية فهو تطبيق ما قاله بن غوريون، بعد أن توفرت لها إمكانية، ليس إرسال شبان صهاينة متحمسين ليهتفوا: «أيها اليهود القذرون اخرجوا من بلادنا» بل إرسال جواسيس وعملاء يقومون، بأعمال استفزازية وتفجيرات ورمي قنابل على التجمعات والمعابد والمحلات التجارية اليهودية لبث الرعب في نفوس اليهود وحملهم على الهجرة، بالاستفادة من القانون الذي أصدرته وزارة السويدي. فكانت أول عملية تخريبية في ٨/نيسان/١٩٥٠، إذ جرى إلقاء قنبلة على كازينو البيضاء في شارع أبي نؤاس حيث معظم روادها من اليهود الساكنين في المنطقة.

وذلك لأن عدد الذين سجلوا للهجرة خلال شهر كامل من صدور القانون، أي حتى ٩/نيسان/١٩٥٠ لم يزد عن ١٢٦. وكانت حصيلة هذه العملية ان تزايد عدد من طلبوا الهجرة بعد التاسع من نيسان / ١٩٥٠.

ولكن لم يكن بالدرجة التي ترضي الصهاينة وحكومتهم. ولم تكن نسبة من غادروا العراق حتى نهاية العام ١٩٥٠وكانت المدة التي قررها قانون إسقاط الجنسية توشك على الانتهاء، إذ لم تكن تزيد عن سنة تنتهي في آذار ١٩٥١ . ولذا عمد الصهاينة وجواسيسهم في العراق الى رمي قنبلة يدوية قرب كنيس مسعودة شنطوب، مقر تسفير اليهود مسقطي الجنسية العراقية، قُتل فيها شخصان وجرح آخرون، في ١٤/ كانون الثاني/ ١٩٥١.

وفي ١٩/آذار/١٩٥١ انفجرت قنبلة يدوية في مكتب الاستعلامات الأمريكي الذي يرتاده اليهود بكثرة، فجرح عدد منهم. وفي ١٠/مايس/ ١٩٥١ انفجرت شحنة متفجرات في شركة بيت لاوي التجارية للسيارات التي يملكها يهود.

وفي ٥/حزيران/ ١٩٥١ انفجرت شحنة مفرقعات في شركة ستانلي شعشوع التجارية اليهودية.

ونشرت مجلة (هاعولام هازيه) الصهيونية مقالاً ليهودي عراقي تحدث فيه عن الأعمال الإرهابية الصهيونية التي تفاقمت في نفس الوقت الذي امتنع فيه يهود العراق عن الهجرة ومقاطعة مكاتب تسجيل الراغبين في الهجرة.

ونظراً لضعف نسبة من سجلوا وغادروا العراق من اليهود حتى انتهاء مدة سريان القانون، وهي سنة انتهت في آذار ١٩٥١، قامت الحكومة بتمديد مدة سريان القانون سنة أخرى لضمان تهجير كل اليهود قسراً.

ومن الوقائع المثيرة بهذا الصدد ان عدداً من السجناء اليهود الشيوعيين انهوا محكومياتهم في تلك الفترة، ولم يرغبوا بهجرة العراق، فما كان من شرطة الحكم الملكي الا تسفيرهم بالقوة لمقاومتهم هذا التسفير التعسفي الذي أسفر عن جرح عدد منهم في المطار قبل إجبارهم على صعود الطائرة.

وكتب شاهد عيان هو روبين دافيد في مقال له بعنوان (مأساة يهود العراق)، مؤكداً ان الخسائر نتيجة التفجير لم تكن كبيرة، ولكنها نجحت في بث الرعب والهلع في نفوس اليهود وتهجيرهم إلى إسرائيل. وألقى تبعة أعمال التفجير صراحة على عاتق الحركة السرية الصهيونية.

وكتبت مجلة «عاهولام هازيه» (هذا العالم)، التي يصدرها الشخصية الإسرائيلية المعروفة يوري أفنيرى، في ١٩٦٦/٥/٢ ان اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل «يعرفون ان المتفجرات التي ألقيت على أحيائهم ومنازلهم وكنسهم كانت لإرهابهم والإضرار بهم وإرغامهم على ترك العراق»

وقال الحاخام خضوري رئيس الطائفة اليهودية في العراق للحاخام بيرغر الأمريكي الذي زار العراق عام ١٩٥٥ عن الصهاينة: «لقد انتزعوا أولادنا منا، وزجوا بنا في مأزق لا يعلم إلا الله متى ننجو منه. فتباً ليهود أمريكا. تباً لوكلاء إسرائيل»

اما لماذا لم يكن يهود العراق يريدون الهجرة إلى إسرائيل لولا موقف الحكومة المتواطئ مع الانجليز والصهيونية، وأعمال الإرهاب والتفجيرت، والمضايقات التي ازدادت في تلك الفترة، وانغمار بعض القوميين العرب في الحملة ضدهم التي تولتها جريدة (اليقظة) لصاحبها سلمان الصفواني، وحزب الاستقلال، إذ أيد اثنان من أقطاب هذا الحزب هما النائبان فائق السامرائي وإسماعيل الغانم، تشريع قانون إسقاط الجنسية، فيرجع موقف اليهود العراقيين هذا الى تعلقهم بعراقيتهم وتأثرهم بنشاط القوى الديمقراطية، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي، الذي دفع عدداً من رفاقه اليهود إلى تأسيس عصبة مكافحة الصهيونية، التي فضحت الصهيونية باعتبارها ربيبة الاستعمار، وكونها عدوة للعرب واليهود. هذه العصبة التي أجيزت في آذار / ١٩٤٦، وأصدرت جريدة بإسم «العصبة» في نيسان ١٩٤٦، سرعان ما أغلقتها سلطات العهد الملكي، بقيادة عبد الإله ونوري السعيد، وحلّت العصبة، وقدمت قادتها الى المحاكم، في أعقاب إسقاط وزارة توفيق قبل أن تكمل ثلاثة اشهر من عمرها القصير. وجاءت بأرشد العمري رئيساً للوزراء، وشنت حملة شعواء على الأحزاب الوطنية التي أجازتها وزارة توفيق السويدي، وساقت المدراء المسؤولين عن صحفها، كامل الچادرچي عن جريدة (صوت الأهالي) لسان الحزب الوطني الديمقراطي، وناظم الزهاوي عن جريدة (السياسة) لسان حزب الاتحاد الوطني، وعزيز شريف عن جريدة (الوطن) لسان حال حزب الشعب، وقاسم حمودي عن جريدة (لواء الاستقلال) لسان حال حزب الاستقلال. وأغرقت إضراب عمال النفط في كركوك بالدماء.

إن تهجير اليهود العراقيين القسري هو واحدة من الجرائم الكبيرة التي ارتكبها حكام العهد الملكي، أضرت ليس باليهود فحسب، بل وبالشعب العراقي ككل، اذ أبعدت احد مكوناته الأساسية منذ ما يزيد عن الألفي عام. هذا المكون الفعّال المتمسك بعراقيته، والذي يغني الفسيفساء العراقية الجميلة، وقدمت بذلك خدمت كبرى للصهيونية.

×بعد الانتهاء من كتابة المقال تلطف احد الزملاء بجلب نسخة من الكراس لي، وبعد الاطلاع عليه وجدت ان جوهر ما فيه يؤكد ما ورد في هذا المقال، فاكتفيت ببعض المقتبسات التي اخذتها من الكراس تعزيزاً لما ورد في المقال.

من البرج العاجي

الشعر الباحث، أم الشعر المكتشف؟

فوزي كريم

سأحجب ضوء الحديث عن حقول البحث العلمي في ثقافتنا العربية. وفي حقل الانسانيات سأفرد حقل الثقافة الأدبية للإضاءة في حديثي هذا. فحقل الانسانيات في الدراسات الاجتماعية، التاريخية، السياسية، الفكرية والفلسفية، الإسلامية، تبدو لي متعافية بصورة من الصور، مقارنةً بحقل الثقافة الأدبية: شعر، ونقد الشعر، وكل كتابة بشأن الأدب، التي تبدو لي، للأسف غاية في الضحالة، والتردي، والنفاجة، والتعالي الفارغ، والفراغ.

عناصرُ الحداثة في حقل الانسانيات تتضح بمقدار اتضاح نفعها، وغناها. وهي واضحة ونافعة في كثير من أنشطة هذا الحقل. مع أنها لا تتكلف رفع شعاراتها، كما يُرفع السلاح، فوق رؤوس قرائها. ولنا سلسلة رائعة من أعلام هذا الحقل: من فؤاد زكريا، مروراً بنصر حامد أبو زيد، بالقمني، الجابري، جورج طرابيشي....

حقل الثقافة الأدبية وحده، الذي تكلف أمر احتكار الشعار الحداثي هذا، وجعله قبضةً أو سلاحاً. وهو يفعل ذلك بسوء نية، لأنه يُخفي وراءهما فراغاً حقيقياً. ولك أن تستقرئ ذلك بيسر عبر الكتب الصادرة، والجدل المصوّت في المؤتمرات، والروح الهتّافة في مهرجانات الشعر، وعبر هذا الغبار الخانق من نتاجات الصحافة الأدبية عامة. إن خلافات الجابري وجورج طرابيشي عبر الكتب الثمانية بشأن العقل العربي، لتملأ القارئ الجدي غبطةً، وثقة. ولها مثيلات في حقل الفكر السياسي، وعلم النفس، وعلم التاريخ، والأسطورة. حتى المسعى الأكاديمي في الدراسات الإنسانية هذه لينطوي على قدر من الرغبة الحقيقية لبلوغ هدف. ولكن خطاك ما إن تعبر الحد الفاصل بينها وبين فعاليات الأدب، حتى تجد نفسك في متاهة فاسدة، فارغة، مكابرة، سيئة الطوية، وتدميرية.

السبب الكامن وراء هذه المفارقة أن مفكر الانسانيات يسعى لاكتشاف الحياة والعالم. وهذا المسعى سيكون بالضرورة، حذراً، متوجساً وقليل الثقة. في حين يسعى الشاعر ومثقف الأدب جملة إلى تغيير الحياة والعالم، وهو مسعى سيفترض أداء رسالة خُصّ بها دون البشر، وجرأة لا تختلف كثيراً عن الحماقة، وتعالياً هو وجه بديل للجهل، وهي خصائص يتميز بها مثقف الأدب العربي بصورة ملفتة للنظر.

نعم، إن مهمة تغيير الحياة والعالم فكرةٌ استُلهمت من الفكر السياسي اليساري بصورة خاصة، وهي ظاهرة وجدت أكثر من صدى في العالم. ولكن هذا الصدى سرعان ما اهترأ، بسبب هيمنة الحضارة العقلانية ضاربة الجذور، وبقي الشاعر ومثقف الأدب مؤتمناً على التساؤلات المحيرة داخل المتاهة. ولكن طبيعة العقل العربي، وطبيعة الثقافة العربية، والظرف التاريخي، شاءت أن تُبقي مثقفَ الأدب وشاعره داخل بالونة الوهم: "قادرٌ أن أغير. لغمُ الحضارة هذا هو اسمي.."، على حد قول الشاعر أدونيس.

حين أبدى شعراء مثل السياب وصلاح عبد الصبور. عجزهم الكامل عن اجتراح حلول لمعضلاتهم الشخصية، ولمعضلات الحياة والكون، كان الاستنكار الذي ووجهوا به، على مدى الثقافة العربية، تاماً. ومات الاثنان مهمومين، مُستنكرين، غيرَ مرضيٍّ عنهما.

المعضلة أن الشاعر ومثقف الأدب، بفعل وطأة الوهم في مهمة التغيير الرسولية، لم يعد يملك القدرة على رؤية نفسه إلا في مرآته السحرية. دون أن يعرف أن مرآته السحرية هذه إنما هي أداة وفّرتها له وطأة الوهم ذاته. وأن هذا الوهم لن يسمح في أن تصبح الموهبةَ، والخبرةَ، والمعرفةَ، والوعيَ قوىً ذات فاعلية حقاً. بل على العكس يعطي مزيداً من الثقل لمهمة إفراغها من كل معنى، وحشوها بالضوضاء السحرية، وإلباسها أقنعة إيهام النفس.

هل يبدو ممكناً أن ينتفع حقلُ الأدب والشعر من حقل الانسانيات، في التنازل عن مهمة التغيير والسعي إلى مهمة البحث والاكتشاف؟

لا أعتقد ذلك. فالشعر العربي، حتى لو امتلأ بحداثته الإيهامية، سيظل أسير هذا الدور المُلهم، الرائي، النبوئي، ذي الرسالة المغيرة للحياة وللعالم.

الشعر والجنس

ياسين طه حافظ

«٢»

تناول الشعراء العرب موضوعة الجنس بصور شتى فمنهم من اهتم بصوت العشيقة، واولاء ندرة. ومنهم وهم العدد الاكبر من اهتموا بتفاصيل الجسد ومناطق الاثارة، وتفرع من ذلك اهتمام آخر، اهتمام برشاقة الحركة وطراوتها وعذوبة لماها، وفي هذا صلة بالجوع والعطش الصحراويين، لكن كثيرين انتبهوا لحضورها الفاعل والمؤثر في الخيمة او في الهودج او وحشة الليل والمطر. فهي حميمة تدفع الوحشة وهي ايضا «سراج» في الليلة الظلماء»وكان بين الشعراء من هو غاوي نساء يتشبب بنساء قومه او غير قومه. مما اعتبر احيانا اعتداء قبليا ونوعا من التجاوز.ولاحظنا ظاهرة سبي النساء، فرأينا وراءها نزوعا جنسيا مثلما وراءها دلالة اجتماعية للتفاخر في جانب السُباة واذلالا في جانب الذين وقع عليهم السبي. ولم تكن التقاليد اوالقوانين يوما مانعة كل المنع. فالتاريخ يروي لنا وقائع جنس وتجارب جنسية أتُهم بها، او اتهمت بها شخصيات مهمة يصعب الخوض في تفاصيلها. كما ان عبيدا رووا تجارب جنسية مع نساء سادتهم. وسادة كبار كانت لهم تجارب جنسية مع امائهم، وما خفي كان اعظم.ظاهرة عمر بن ابي ربيعة، الرجل المتأنق الوسيم المترف الذي يلاحق الحسان في قوافل الحجيج، وفي مكة، حيث القداسة، ظاهرة تستوقف الباحث في هذا الموضوع وتحتاج الى وقفة اطول.انا لااظنها ظاهرة فردية وارى ان كثيرين، او في الاقل، ان عددا آخر من شباب القبائل كان يقوم بمثل ذلك ولكن عمر أكده شعره واغفل اولئك جهلُ الناس بهم وغياب من يروي عنهم.كما ان تجربة امريء القيس الجنسية اكثر مادية وأكثر تفصيلا واكثر مباشرة. وهي تستوجب التوقف عندها، لانها لم تكن فتاة عاشقة حسب، هي كانت مع «زوجة» وهي ام الطفل، وفي بيتها!وتجربة عبد بني الحسحاس مع واحدة من نساء اسياده تجربة فاضحة وفيها خرق اجتماعي: «ولقد تحدَّرَ من جبين فناتكم عرَقٌ على جنب الفراش وطيبُ»

ويحدث هذا في زمن نجد فيه ظاهرة الحب العذري، أي العشاق، او المرَضى، الفخورين بعفتهم! وهي على اية حال، ظاهرة تحتاج الى دراسة خاصة للتأكد من انها كانت «مرَضية» او كانت «فلسفية» ونتاجا اخلاقيا.بالنسبة لنا اليوم ونحن تحت اضواء الثقافة الحديثة، يشكل الجنس حالات عدة وراءها وجهات نظر مختلفة لها علاقة بالبيولوجيا والسلوك الانساني.بالنسبة لداروين العملية الجنسية كفاح فسيولوجي للبقاء. بالنسبة لماركس هي ضرورة اقتصادية. بالنسبة لنيتشه هي ارادة القوة. وبالنسبة لفرويد هي الحال الجنسية! الغرب عموما يجد في الفكر الفرويدي المؤثر الاكبر والكاشف الاكبر للمغلقات.

لكن وايتهيد Whitehead الامريكي يرى ان الفلسفة الغربية لم تأت بأكثر من ملاحظات على ما قال به افلاطون. هذا صحيح مع رفض مضمر للحب الافلاطوني. الفكتوريون، الانجليز، قمعوا الجنس ايضا وكان شعرهم الجنسي ضمن المخيلة العامة التي نعرف طبيعتها المحافظة. فنحن نسمع في هذا الجو صوت جورج ايليوت في روايتها Adam Bede ١٨٥٩ تكشف عن مشاعرها بصيغ كلامية قريبة الى التروبادور القروسطيين. فقد كانت تلك لغتهم:»كان في الثالثة والعشرين وقد تعلم معنى الحب- الحب الذي هو وله يبديه الشاب لامرأة يشعر انها اعظم وافضل من نفسه. حب من هذا النوع ليس سهلا تمييزه عن الشعور الديني. وأي حب عميق ورفيع ليس كذلك؟»في هذا النص الروائي تلك الطهرانية الاولى. وكنا ننتظر في هذا الوقت عقلا جريئا واكثر حقيقة من مجونية جوسر ١٦٥٦م، مادام كلام اليوت في ١٨٥٩ أي بعده بأكثر من مئتي سنة ! لكن هنالك باداره تخفف من هذا النكوص، وتلك هي كتاب «اريك ترودجل»: «المادونات والمجدليات» الذي يميز عنوانه الذكي بين صورة المرأة الطاهرة التي لم تمس وصورة المرأة الحقيقية. وهو بالتأكيد يشير الى ما في الزوايا المظلمة من الحياة الفكتورية، التي تضيؤها الملذات والاضواء وحضور المرأة «البغي».أهمية هذا الكتاب تتأتى من انه اظهر، ولو بشكل غير مباشر ان هناك صورة اخرى، غير رسمية، للمرأة في ادب تلك المرحلة، مما أسس للتحول القادم الذي سنشهد فيه وضوحا يكشف ان المرأة اما ان تكون امرأة حقيقية عقلا وجسدا، واما ان تكون اكذوبة. واننا امام حسم: ان تكون ملاكا او تكون على الارض جسدا وغواية وانجابا. ولايجتمع الاثنان في واحدة.اذا التفكير الجديد كان منطلقا للحركة النسوية من بعد والتمرد العلني على القوانين الاجتماعية الرسمية إذ ارتفعت المطالبات، مظاهرات، صحافة، عملا سياسيا حتى طالبت هذه الحركات بكل انماط الجنس، ما كان مقبولا وما كان مدانا.وبالرغم من سيادة الجنس اليوم في الادبيات والحياة الاجتماعية، فما يزال التواجد المشترك متعذرا بين الجنسية والاغواء الاحترافي او الجنس خارج الاطار. ذلك لان الكثير من المعاهد الدينية، الاسلامية والكنسية تعد الفرد بمكافأة، بثواب ان هو عفّ عن الجنس اللاشرعي، أي الزنى. وهذا الثواب بديل روحاني لقربه الى الايمان وابتعاده عن الشيطان.هم يرون في هذا تربية على الاستقامة وان البديل الروحاني لهو اعظم واسمى من هذا الارضي. لكني ارى، مع عظمة هذا الثواب، او هذه المكافأة، ان القليل من الناس يرتضون بذلك البديل!

ألبير كامو .. ومواقف سركوزي اللاأدبية

ترجمة : عادل العامل

إن تكريم كاتب مثير للاعجاب تقليدياً مثل الأديب الفرنسي الفائز بجائزة نوبل ألبير كامو (١٩١٣ - ١٩٦٠)، بعد خمسين عاماً من موته في حادث اصطدام سيارة، ينبغي أن لا يكون مسألة مثيرة للجدل، وفقاً لقول بنيامين آيفري في مقاله هذا.

لكن هذه الأوقات ليست بالأوقات العادية الآن في فرنسا. فقد اقترح الرئيس الفرنسي نيكولاس سركوزي في تشرين الثاني الماضي إعادة دفن تكريمي لكامو في البانثيون، الصرح الشاسع في الحي اللاتيني من باريس الذي يضم رفات الكثيرمن عظماء فرنسا،من فولتيرإلى باستور. ورداً على ذلك، قال جان كامو، ٦٤ عاماً، و هو إحد الابنين التوأم للكاتب الراحل، لصحيفة لي موند أنه يخشى أن يكون سركوزي يحاول « الاستيلاء « على أبيه من خلال « إساءة تفسير «. ففي فرنسا، يعني مفهوم « الحقوق الأخلاقية « أنه إذا كان ابن كامو معارضاً للفكرة، فلا يمكن استخراج الكاتب من مثواه الحالي، في مقبرة لومارين، و هي بلدة في قسسم فوكاليوز، بجنوبي فرنسا، حيث كان لديه منزل صيفي.

بل أن رد فعل جان كامو الآنف الذكر كان نفس ما أبداه السياسي اليميني المتطرف جان - ماري لوبان، الذي اتهم سركوزي بمحاولة إبعاد مؤيدي حزب الجبهة الوطنية عن طريق تكريم كامو، و هو فرنسي أبيض ولد في الجزائر،أو هكذا وصفه لوبان،إشارة إلى مستوطني الجزائر الذين أجبروا على المغادرة في نهاية الحرب الجزائرية في عام ١٩٦٢. و قد أبدى جانيف غورين، البروفيسور في السوربون، موقفاً أكثر شيوعاً حين قال في مقابلة أجرتها نوفيل أوزيرفاتور « أن سركوزي صديق لبوش، و القذافي، و بوتين، و بيرلسكوني. و سياساته مناقضة للقِيَم و الأفكار التي دافع عنها كامو «. كما اعترض على الفكرة بيرنار بيفو، المضيِّف السابق في برنامج أدبي تلفزيوني شعبي، قائلاً « رفات كامو يدفن في البانثيون؟ إذا قارنّا ذلك بالبحر الأبيض المتوسط حيث كان يحتفي على الدوام بالشمس، سيكون المكان بارداً جداً عليه هناك. فكل شيء في حياة الكاتب و عمله الأدبي يوحي بأنه ما كان ليقدِّر هذا النوع من التكريم و العرض الرسمي الذي ليس له أية علاقة بالأدب ... «!

فقد كان كامو على درجة عالية من التشكك في السلطة السياسية و الأبهة الرسمية، مؤمناً بأنها تُفسد أولئك الذين يمتلكونها، و قد عبر عن ذلك في مسرحيته (كاليغولا) : « أن تحكم يعني أن تنهب «، كما يعرف الكل. و كان كامو، و قد عرف الفقر في شبابه، يدافع عن حقوق الفقراء و المسحوقين، و في الوقت الذي كان يعتبر فيه نفسه يسارياً، كان ينتقد النظام السوفييتي في الخمسينيات، مما يجعله اليوم ذا بصيرة أو إدراك مسبق، مقارنة في الأقل بالشيوعيين المحدودي الرؤية بين المفكرين الفرنسيين مثل سارتر و بوفوار. و على خلاف رأسمالية السوق الحرة التي يناصرها سركوزي بشدة، كان كامو ليبرالياً مخلصاً، كما يذكّرنا البعض. مع ذلك هل يهم هذا حقاً؟

و على كل حال، فقد راح الفيلسوف و الشخصية الإذاعية رفائيل إينثوفين يتساءل في الأكسبريس : « لماذا نحرم كامو من جنازة بطل، بعد أن منحنا سارتر دفناً بابوياً؟ لماذا نحرم كامو مما أعطي لروسو، و فولتير، و هوغو، و زولا؟ « و قد وافقه على ذلك السينمائي يان موا في صحيفة لا ريغل، مبيناً أنه لكون البانثيون هو « الأكاديمية الفرنسية للموتى «، فكامو الآن من دون شك معاً « أكاديمي على نحو كاف و ميت بما فيه الكفاية ليرقد هناك «. و أضاف موّا، مطمئناً القراء في تهكم : « إن أعماله، و هي عظيمة، و ممتعة، و نبيلة كما هي، لن تقوم بتفجير أي شيء. فكامو ليس بالمؤلف الخطر «.

مع هذا، فإن كامو قد تحول الآنَ لأن يكون خطراً بالنسبة لسركوزي، لأن الأمر أكثر حتى من تعارض سياسي افتراضي، و أصبح كامو يذكّر الرأي العام الفرنسي بعلاقة سركوزي الخاصة بالأدب، التي كانت باختصار كارثية. ففي أمم أخرى، لا يُتوقع من السياسيين أن يكونوا واسعي الاطلاع أو حتى مثقفين وظيفيا، لكن فرنسا تظل استثناءً - أو كانت هكذا حتى وقت قريب. فخلال حملته في عام ٢٠٠٦، صرف النظر عن رواية فرنسية من القرن السابع عشر لمدام دي لا فاييت بشكل أساء لسمعته، محتجاً بأن امتحانات الدخول إلى الخدمة المدنية ينبغي ألاّ تتضمن أسئلةً عن مثل هذه المواضيع التي لا علاقة لها بذلك. و قد أثار هذا الموقف محبي الكاتبة الأنفة الذكر و الأدب عموماً.

و كنوع من التمرد أو التعنت، ضاعف سركوزي من تعليقاته العدوانية ضد الأدب و أولئك الذين يقضون ما يراه وقتاً زائداً في قراءته. و في عام ٢٠٠٧، قال سركوزي في خطاب إلى الطلبة : « إن لكم الحق في دراسة الأدب الكلاسيكي، لكن دافع الضرائب غير ملزَم بأن يدفع عن دراساتكم في الأدب الكلاسيكي «، ضارباً بذلك لب المواضيع الأكاديمية التي ليست بالأمر المربح بشكل مباشر. و بعد سنة من ذلك، و في مؤتمر صحفي خلال زيارة رسمية إلى الهند، آذى مشاعر جماعات واسعة من القراء بقوله : « يمكنكم أن تحبوا كيلاين (الكاتب الفرنسي الفاشي) من دون أن تكونوا معادين للسامية، مثلما يمكنكم أن تحبوا مارسيل بروست من دون أن تكونوا لوطيين «. و قد رمزت له هذه الموازاة الفضّة (معاداة السامية / اللوطية) في أذهان الفرنسيين كمُبغض للكتب. أو ، كما أوضح دريلون أن نقّاد سركوزي « لا يلومونه على عدم كونه قارئاً عظيماً. فهو يستطيع أن يقرأ أو لا يقرأ، ذلك أمر عائد له. إننا نلوم كراهيته للكتب، التي هي أمرٌ مختلف. و نلومه على ازدرائه الكتب و القرّاء «.

هنا جوهر المشكلة، و السبب الخاص في أن ألبير كامو، في المستقبل المنظور على الأقل، لن يُعاد دفنه في البانثيون.

عن / NewStatesman